الباب الأول

العلم والدين والإلحاد

الفصل الأول

الإلحاد المعاصر..

ـ ميلاد الإلحاد المعاصر

ـ تبدأ القصة منذ عدة قرون
ـ نيوتين ولابلاس وآلية العالم
ـ العلم يخرج من القمقم
ـ الإلحاد يطل برأسه

ـ الفكر الإلحادى المعاصر

ـ يتبنى الفكر الإلحادى المعاصر عدة مفاهيم
ـ ينقسم الملحدون إلى أربع مجموعات
ـ يتمايز الفكر الإلحادى إلى مستويين
ـ هل شاع الإلحاد؟

ـ الفلسفة الإلحادية المعاصرة

ـ الفلسفة الوضعية المنطقية
ـ الإلحاد الجديد
ـ عودة الوعى والتدين العقلانى
ـ أنتونى فلو فى مسيرة الإلحاد

ـ منهج الملاحدة الجدد

ـ وسائل الإزعاج.
ـ رسم الخطط: البديل عن الإله
ـ هل من جديد عند الملاحدة الجدد؟
ـ ما كل هذا الحقد ضد الإله والدين، وضد الإسلام!

ـ متتالية الفكر المادى، الحضارة المادية، ثم الإلحاد

ـ الحضارة المادية
ـ الفكر المادى
ـ العقل المادى

ـ القارئ الكريم

«من المفارقات المؤلمة، أن بعض رجال الدين فى نهاية العصور الوسطى وقفوا فى وجه العلم؛ لأنه «يهدد» إيمانهم بالإله، وفى القرن العشرين يقاوم البعض ما توصل إليه العلم؛ لأنه «يهد» للإيمان بالإله!».

ألڤن بلانتنجا[1]

تعلمنا فى صغرنا أن كفار مكة الذين بُعِثَ فيهم رسول الله ﷺ برسالة الإسلام كانوا ينكرون وجود الله عَزَّوَجَلَّ. ولمَّا شببتُ عن الطوق واقتربتُ من فهم القرآن الكريم علمتُ أن معظم الكفار كانوا يقرون أن الله عَزَّوَجَلَّ هو خالق الكون والحياة والإنسان[2]، لكنهم كانوا يشركون مع الله آلهة آخرى، وإنهم بعبادتهم لأصنامهم كانوا يتقربون إليه سبحانه وتعالى[3]. أما إنكار الوجود الإلهى ـ كما يفعل الملاحدة المعاصرون ـ فقد كان نادرًا قبل العصر الحديث، حتى يمكننا القول أن الإلحاد المعاصر صناعة أوروبية حديثة.

دارت هذه الأفكار فى خاطرى وأنا أبحث فى نشأة الإلحاد المعاصر وجذوره. ما الذى أدى إلى التردى من كفر إلى كفر أكبر؟

فلنتابع الرحلة من بدايتها:

---

(1) Alvin Plantinga: أستاذ الفلسفة الأمريكى المتدين الشهير بجامعة نوتردام، ولد عام 1932.

(2) ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ...﴿٢٥﴾﴾ [لقمان]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الزخرف].

(3) ﴿...وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ...﴿٣﴾﴾ [الزمر].

ميلاد الإلحاد المعاصر

تبدأ القصة منذ عدة قرون[1]

حتى خمسمائة عام مضت، كان المصدر الأساسى للمعرفة فى أوروبا هو الكتاب المقدس بعهديه (العهد القديم، والعهد الجديد)[2]، كما تبنى رجال الدين فى الكنيسة الكاثوليكية **آراء أرسطو وبطليموس العلمية** حول الكون وكوكب الأرض والفيزياء والكيمياء والتاريخ الطبيعى...، وألحقوها بمفاهيمهم المقدسة.

بناءً على هذه المصادر، **كَوَّن إنسان العصور الوسطى فى أوروبا صورة عن العالم**، هى:

1- **تقف الأرض ثابتة فى مركز الكون**، وتدور الشمس والقمر وبقية الكواكب حولها فى دوائر.

2- خَلَقَ الإله العالم **عام 4004 ق.م.** واستنتج الكهنة هذا التاريخ من جَمْع أعمار الأجيال المتتابعة من أبناء آدم كما جاءت فى التوراة فى سفر التكوين.

3- سوف تكون نهاية العالم (أى يوم القيامة) فى تاريخ ليس ببعيد، **عام 4004 ميلادية**. وذلك لكى تتوسط حياة المسيح تاريخ العالم.

4- خلق الإله العالم فى لحظة ما فى الماضى، تمامًا كما يبنى البشر المنازل ويصنعون الآلات والأثاث. والفارق الوحيد هو أن الناس تصنع ما تصنع من مواد موجودة سَلفًا.

5- يسير العالم طبقًا **لخطة إلهية مُحكمة؛ فكل شىء فى الكون له هدف وغاية (الغائية)**. فقد خُلقت **الشمس** كى توفر النور للإنسان خلال النهار، بينما يُزَوِّده **القمر** بالضياء ليلًا، كذلك يظهر **قوس قزح** ليُذَكِّر الإنسان بوعد الله للنبى نوح بألا يُدَمِّر الجنس البشرى مرة أخرى عن طريق الطوفان. وإذا كانت هناك **أشياء مقززة**، كالحشرات والثعابين والقاذورات، فهى **عقاب للإنسان على خطيئته**

---

(1) عن مقدمة كتاب «الدين والعقل الحديث» للفيلسوف الأمريكى والتر ستيس، المنشور بالعربية عام 1998، ترجمة أستاذ الفلسفة الدكتور/ إمام عبد الفتاح إمام - مكتبة مدبولى.

(2) **العهد القديم** هو كتاب اليهود المقدس، ويشتمل على 39 سفرًا. واعتُبر أيضًا الجزء الأول من الكتاب المقدس عند المسيحيين. وتُشكل توراة موسى أول خمسة أسفار من العهد القديم، وأولها سفر التكوين الذى يحكى قصة الخلق من بدايته حتى وفاة نبى الله يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. **والعهد الجديد عند المسيحيين** (27 سفرًا) يشتمل على الإنجيل (الأناجيل الأربعة لحوارى المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) ثم أعمال الرسل، ثم رسائل الرسل وأهمها رسائل بولس، ويُختَم برؤيا يوحنا اللاهوتى.

الأصلية، حين عصى آدم ربَّه وأكل من الشجرة.

وفى النهاية، لا يمكن لعقل الإنسان الكشف عن جميع أسرار الخطة الإلهية. ولكن عليه أن يثق كل الثقة بأن لكل شيء غرضًا.

6- **يمثل العالم نظامًا أخلاقيًّا**، وهذه فكرة بالغة الأهمية فى التاريخ العقلى والروحى للجنس البشرى. وهى تعنى أن القيم الأخلاقية (كتحديد الخير والشر) مطلقة يحددها الإله، وليست نسبية تعتمد على رغبات البشر ومصالحهم ومشاعرهم.

7- يقف وراء ذلك كله **إله خالق**، له أفكار وتصورات، وربما انفعالات وعواطف أيضًا.

8- رجال الكنيسة هم الواسطة بين الإله وبين الناس فى قبول التوبة والحصول على الغفران ودخول الجنة.

لقد أعطت الهيمنة على الدين والعلم رجالَ الكنيسة القوة، متمثلة فى **السلطة والثروة**. ولقرون طويلة مارست الكنيسة الكاثوليكية فى روما سلطتها على شعوب أوروبا وحكامها، حتى إن باباواتها كانوا يُنَصِّبون الملوك ويعزلونهم. ولما كان الشعور الدينى شعورًا فطريًّا، **تَقَبَّل الناس هذه الهيمنة**، وضحوا بحريتهم ومالهم لصالح رجال الدين[1].

العلم يخرج من القمقم

يؤرخ المؤرخون لنهاية العصور الوسطى وبداية العصر الحديث بصدور كتاب «فى دوران الأفلاك» لكوبرنيكوس. لقد وقعت الطامة الكبرى (من وجهة نظر الكنيسة) عندما أعلن **كوبرنيكوس**[2] (بحساباته الرياضية) ثم أثبت **جاليليو**[3] (بتلسكوبه) أن **الأرض ليست مركز الكون**، بل هى مجرد كوكب تابع يدور حول الشمس. لقد دفعا ثمنًا غاليًا لعلمهما وشجاعتهما؛ إذ تبنت الكنيسة حملة شعواء لاضطهاد وتعذيب وقتل العلماء باعتبارهم من السحرة والمشعوذين.

(1) يتكرر هذا النمط من سيطرة رجال الدين على العامة والحكام عبر التاريخ. فقد كان **المصريون القدماء** ينظرون إلى ملوكهم الفراعنة باعتبارهم آلهة، وينظرون إلى الكهنة باعتبارهم حلقة الوصل بين الناس وبين الآلهة فى الأرض وفى السماء، وبمجرد أن حاول أخناتون تحدى سلطة رجال الدين قتلوه ونَصَّبوا توت عنخ آمون كفرعون وإله بدلًا منه!

(2) Copernicus: (1473 - 1543)، فلكى بولندى، نشر نظريته عن مركزية الشمس فى كتابه De revolutionbus Orbium Coelestium الذى صدر يوم وفاته.

(3) Galileo Galilei: (1564-1642)، عالم الفلك الإيطالى الشهير.

كذلك كان **اكتشاف الميكروسكوب** (عام 1595) صدمة كبيرة؛ إذ مَكَّن العلماء لأول مرة من رؤية الجراثيم، التى ثبت فيما بعد أنها المسئولة عن كثير من الأمراض. كيف ذلك؟! أليس الله (أو الشيطان) هو الذى يُنزل الطاعون والأوبئة بالبشر؟ كيف تستطيع إذًا صلوات رجال الدين (مدفوعة الأجر) أن تشفى الأمراض؟!

نيوتن ولابلاس[1]... وآلية العالم

بلغت الجهود العلمية ذروتها بفضل عبقرية إسحق نيوتن (1642 - 1727) التى أتمت إرساء أسس العلم الحديث. لقد **كان نيوتن مسيحيًّا ورِعًا**، ولا شك أنه كان سيصاب بالهلع لو شعر بأن إنجازاته العلمية سوف تُقوِّض أركان الإيمان الدينى فى الغرب.

لقد توصل نيوتن إلى **قوانين الحركة الثلاثة الشهيرة، وكذلك قانون الجاذبية.** كما وصف بِدقة ـ فى ضوء هذه القوانين ـ بنية المجموعة الشمسية (الشمس والكواكب الدَّوَّارة حولها). وهى نفس القوانين التى تصف سقوط التفاحة من الشجرة، كما تصف ما يحدث إذا تصادم قطاران.

لذلك شَبَّه الفيزيائيون النظام الشمسى (كما وصفه نيوتن) **بالساعة الزنبركية**، التى تُملأ ثم تُترك لتعمل تلقائيًّا. إن قوة الجاذبية وقوة الطرد المركزية وقوانين الحركة كفيلة بالمحافظة على عمل النظام الشمسى **دون التدخل من قوى خارجية**.

انتشرت فكرة **آلية العالم** انتشار النار فى الهشيم، فقام العلماء والفلاسفة فى أوروبا بتفسير كل شىء من خلال منظور الآلية. حتى إن توماس هوبز[2] (فيلسوف الإلحاد البريطانى الشهير) شَبَّه **أجهزة جسم الإنسان** بمجموعة من الآلات التى **تحكمها القوانين الفيزيائية**.

وقد لاحظ نيوتن **اختلافًا طفيفًا** بين ما ينبغى أن تكون عليه مدارات الكواكب كما تحددها حساباته، وبين المدارات الفعلية التى يرصدها التليسكوب[3]. وإذا **تراكمت** هذه الفوارق مع مرور الزمن، فسينقلب النظام الكونى رأسًا على عقب؛ فقد تغوص الكواكب فى الشمس، أو تفلت من سيطرتها وتندفع فى الفضاء الكونى السحيق.

(1) التعريف بهما آخر الفصل.

(2) التعريف به آخر الفصل.

(3) يظهر هذا الاختلاف بشكل واضح فى مدار كوكب عطارد، وسنفصل ذلك فى الفصل الرابع.

تجاوز نيوتن هذا الإشكال بأن اعتبر أن **الإله يتدخل من وقت لآخر ليُعدِّل مسارات الكواكب**! لقد كانت هذه آخر مرة يطرح فيها عالِم عظيم فكرة تدخل قوى غيبية كتفسير لظاهرة طبيعية.

ثم أثبت الفلكى الفرنسى **ماركيز لابلاس** (1749 - 1827) أن الانحرافات التى عجز نيوتن عن تفسيرها بالقوانين الطبيعية **ليست تراكمية**، وأنها تلغى بعضها بعضًا بعد فترة من الزمان، وبالتالى **لا تحتاج إلى تدخل إلهى لتصحيحها**. لذلك أجاب «**لابلاس**» نابليون عندما سأله عن دور الإله فى النظام الكونى بأنه لا يرى حاجة للقول بهذا الافتراض!!. ولذلك أيضًا صرنا نتحدث عن «**حتمية لابلاس**» التى تعنى أن الكون يخضع بشكل تام لقوانين الطبيعة».

الإلحاد يطل برأسه

لكن، كيف تسببت هذه الاكتشافات (وغيرها كثير) فى الصراع الذى نشب بين العلم والدين فى أوروبا؟

لم يكن الصراع بين العلم والدين **بسبب اكتشافات «مُعَيَّنة» للعلم تعارض معتقدات «مُعَيَّنة» للدين**. كذلك فإن المفاهيم التى كان على الكنيسة أن تتخلى عنها، أمام طوفان العلم، لم يكن منها ما هو ضرورى للدين. فأساسيات الدين تتلخص فى ثلاث نقاط، نطلق عليها «**النظرة الدينية للعالم**»:

1- هناك **إله** خلق الكون.

2- هناك **خطة** كونية **وغرض** كونى للخالق من الخلق (**الغائية**).

3- يمثل العالم **نظامًا أخلاقيًّا** يحدده الإله.

ومن المؤكد أنه منذ بداية الثورة العلمية فى القرن السابع عشر ـ وحتى الآن ـ **لم يظهر اكتشاف علمى واحد ولا فكرة منطقية تتعارض مع هذه الأساسيات، التى لولاها لانهدم الدين.**

ومع ذلك، فإن الثورة العلمية كان لها بالفعل أثر مدمر للمسيحية فى أوروبا؛ إذ أعقبها مباشرة **نزعة شَكِّية إلحادية كبرى**، جعلت من القرن الثامن عشر أكبر عصر للشك فى التاريخ الحديث، حتى أن ملك إنجلترا كان يشكو أن نصف أساقفة كنيسته ملاحدة!

كيف أدت الثورة العلمية إلى زلزلة النظرة الدينية للعالم، بالرغم من أنه سواء كانت الأرض هى مركز الكون أو كانت مجرد تابع صغير يدور فى فلك الشمس، فإن ذلك **لا يمنع وجود إله خلق كل شىء ؟** كذلك لن نكون أكثر صدقًا وأمانة وأشد إخلاصًا وعدالة **(النظام الأخلاقى)** لو تمسكنا بقانون الحركة عند أرسطو، ولم نستبدله بقوانين الحركة عند نيوتن؟!

لماذا...؟

نؤكد عن يقين أن نشأة هذه **النزعة الشَّكية الإلحادية الكبرى** و إنكار **أساسيات النظرة الدينية** لم تكن مشكلة علمية على الإطلاق، بل كانت **مشكلة نفسية فلسفية**[1]! ترجع إلى عدد من العوامل النفسية أهمها:

أولًا: لا شك أن ما تَعَرَّضَ له العلماء من **اضطهاد وتنكيل على يد الكنيسة**، قد أدى إلى تبنى العلماء والمفكرين موقفًا عدائيًّا من الدين، انعكس على موقف العامة.

ثانيًا: إذا كان **نيوتن** قد رجع بعلاقة الإله بالكون إلى وقت خلق النظام الشمسى، وترك له دورًا يتمثل فى تعديل مدارات الكواكب من حين لآخر، فقد ألغى **لابلاس** قيام الإله بأى دور كونى. وبذلك **تلاشت** نظرة الكنيسة بأن الإله خلق الكون منذ ستة آلاف سنة، وأنه خلق جدنا آدم بيديه، تلك النظرة التى كانت تعنى أن **العلاقة قريبة** وأن **الإله يهتم بنا كثيرًا**.

كذلك كان الشعور بقرب الإله يغذيه الإيمان **بالتدخل الإلهى المباشر فى حياة البشر**، فالصواعق تبيد أعداء الدين، والزلازل تعاقب العصاة. لكن التفسيرات العلمية لمثل هذه الظواهر **لم تدع مجالًا لهذا الشعور**.

ثالثًا: نجح العلم فى **تفسير الظواهر الطبيعية** بآليات لا تحتاج للبحث عن غاية أو هدف. كما نجح فى **التنبؤ بالظواهر الطبيعية**، كالخسوف والكسوف والعواصف. وقد قدم ذلك خدمات مباشرة للإنسان، فأصبح مثلًا يتحاشى الإبحار فى يوم محدد تفاديًا لهيجان متوقَّع للبحر؛ لذلك اقتنع الإنسان بسذاجة تفسيرات رجال الدين ونبوءاتهم.

---

(1) يكمن مفتاح فهم هذه المشكلة فى أن **عقول البشر لا تعمل بالطريقة التى يقول بها المناطقة**. فإذا كان اقتناع رجل بفكرة معينة (أ)، يستتبعه منطقيًّا اقتناعه بالفكرة (ب)، فإن الواقع يخبرنا بأن هذا الانتقال المنطقى هو الاستثناء وليس القاعدة! فالأعم الأغلب أن الانتقال بين الأفكار يتم عن طريق **التداعى النفسى والإيحاء، إذن** فهى **انتقالات نفسية وليست منطقية**.

رابعًا: اعتقد رجل عصر العلم أن نجاح التفسير المادى للظواهر الطبيعية واختفاء الغائية عن أحداث الكون، يعنى **اختفاء الغائية من خلق الكون ككل.**

خامسًا: عندما لم يعد للإله غاية من خلق البشر كما تلاشى دوره فى حياتهم، لم يعد هناك مبرر لأن يضع لهم منظومتهم الأخلاقية (ما يجب عليهم فعله وما لا يجب). وهكذا **هدمت الثورة العلمية الإيمان بأن العالم يمثل نظامًا أخلاقيًّا،** وارتبطت القيم الأخلاقية بمصالح البشر المادية العاجلة.

سادسًا: قدم العلم الحديث للإنسان متوسط **عمر أطول** كثيرًا من ذى قبل، كما قدم له إنجازات علمية وحضارية تحقق له **رفاهية وثراءً** لم يكن يتصورهما فى يوم من الأيام، فتبدلت عقيدته من الإيمان بالإله، إلى الإيمان بالعلم وقدراته و إنجازاته.

سابعًا: يرى من أراد (إمساك العصا من الوسط) أن الله قد خلق العالم، ووضع فيه قوانين الطبيعة التى تُسَيِّره ثم تَرَكَه. إن ذلك يعنى أن الإله الخالق لم يعد يفعل شيئًا لنا، وليس له أدنى تأثير فى أحداث العام. إنه ببساطة **إله لا أهمية ولا احتياج إليه!**

ثامنًا: لذلك كله، أخذ المفكرون يتساءلون: إذا كان العلم قد قطع شوطًا كبيرًا فى فهم آلية أمور كانت تُفَسَّر بشكل ميتافيزيقى، كالأمراض والرعد والبرق والزلازل...، **فما المانع فى أن يتوصل العلم لتفسير كل ما نعتبره ميتافيزيقيًّا؟** وبذلك تلاشت تمامًا الحاجة إلى الدين و إلى الإله.

لقد ألقت هذه **الأسباب النفسية**[1] بالمفكرين والعلماء والعامة من الناس فى القرن الثامن

(1) بالإضافة إلى العوامل العقلية والنفسية التى رَجَّحت كفة العلم فى الصراع مع الدين فى القرن الثامن عشر، نطرح هنا نوعًا **من الخلل النفسى Neurosis** الذى يؤدى إلى تبنى الإلحاد على المستوى الفردى، وذلك حتى نستكمل دراسة العوامل النفسية المختلفة وراء تبنى الإلحاد.

بعد دراسات تحليلية مستفيضة أجراها أستاذ الطب النفسى بجامعة نيويورك، **بول فيتز Paul Vits**،على شخصيات عديدة من ملاحدة العصر الحديث، توصل إلى أن تبنى الإلحاد قد يرجع إلى خلل نفسى عُصابى Atheism is a Neurosis تقف وراءه رغبة دفينة فى اللاشعور للتخلص من سيطرة الأب والحلول محله (كما يقول سيجموند فرويد).

لذلك طرح فيتز مفهومًا أسماه «**منظور التقصير الأبوى** Defective father Hypothesis» يربط فيه بين رفض سيطرة الأب البشرى ورفض الأب الذى فى السماء، ويضرب فيتز الأمثلة على ذلك. فهذا الفيلسوف الفرنسى الكبير **فولتير**، الذى يُصنَّف من كبار الشكاكين، يعانى بشدة من سوء معاملة أبيه، حتى إنه يلفظ أباه ويرفض أن يحمل اسمه. وتضم القائمة **فرويد، وكارل ماركس، وتوماس هوبز**، وآخرين. =

عشر فى **مستنقع الشك**، حتى صار القرن التاسع عشر يُعرف ـ بالمقارنة بما قبله ـ بعصر العودة إلى الإيمان بسبب النزعة الرومانسية التى ظهرت فيه. حتى يمكننا القول **إن العقل العلمانى الحديث** هو نتاج الثورة العلمية فى **القرن السابع عشر**، وليس القرن التاسع عشر أو القرن العشرين.

وبدخول القرن العشرين، ظهرت مقولة «**الدين أفيون الشعوب**» التى أطلقها كارل ماركس. ويقصد بها أن الأغنياء والأرستقراطيين يستغلون مفهوم الدين لتخدير الفقراء، وحملهم على قبول ما هم فيه من بؤس كأمر واقع، طمعًا فى الفردوس فى حياة بعد الموت.

نتيجة لذلك كله، شاعت مقولة فريدريك نيتشه[1] التى ألقاها آخر القرن التاسع عشر: **هل مات الإله؟** Is God Dead? وبدلًا من أن تظل قولًا لفيلسوف يمثل رأيًا يتبناه، أصبحت **المقولة عنوانًا يتكرر فى الصحف اليومية.**

الفكر الإلحادى المعاصر

يتبنى الفكر الإلحادى المعاصر عدة مفاهيم:

1- نشأ **الكون** تلقائيًا، نتيجة لأحداث عشوائية، دون الحاجة إلى صانع.

2- ظهرت **الحياة** ذاتيًا من المادة، عن طريق قوانين الطبيعة.

3- الفرق بين **الحياة والموت** هو فرق فيزيائى بحت، سيتوصل إليه العلم يومًا ما.

= كما يرى فيتز أن الطفل يعتبر موت أبيه خيانة حرمته من الدعم الأبوى، تترك آثارها فى نفسه وتعزز فيه الشعور بالاستغناء، ويضرب أمثلة لهؤلاء بـ **جان بول سارتر وبيرتراند رَسِل**.

وبالتالى ينظر **بول فيتز** إلى الإلحاد من خلال فرضيتين: الأولى، أن الدوافع الإلحادية هى فى الأساس نفسية وليست منطقية، والثانية أن لدى البشر جميعًا حرية إرادة فى الاختيار بين الإيمان بوجود الله ورفض ذلك. ويقسم فيتز تلك الدوافع النفسية للإلحاد إلى مستويين؛ **دوافع سطحية**، وتشمل الرغبة فى الانتماء إلى طبقة مجتمعية وعلمية أفضل وعدم التقيد بقواعد التدين. ثم **الدوافع العميقة** وأهمها منظور التقصير الأبوى.

وقد ظل بول فيتز ملحدًا حتى قارب الأربعين من عمره، ثم صار متدينًا ومهتمًّا بالعلاقة بين الدين وعلم النفس. وطرح هذا المفهوم فى أشهر كتبه Fath of the fatherless, the Psychology of Atheism، صدر عام 1999.

ومن خلال محاوراتنا مع العديد من **الملاحدة الشبان فى بلادنا**، لاحظنا وجود عوامل نفسية عديدة أخرى وراء إلحادهم نعرضها فى الفصل الثانى عشر.

(1) Friedrich W.Nietzsche: (1844 - 1900)، فيلسوف الإلحاد الألمانى الأشهر.

4- ليس الإنسان إلا **جسد مادىّ**، يفنى تمامًا بالموت.

5- ليس هناك وجودٌ لمفهوم **الروح**.

6- ليس هناك **حياةٌ أخرى** بعد الموت.

7- من كل ما سبق، **ليس هناك حاجة إلى القول بوجود إله.**

وسنفصل هذه المفاهيم ونظرة الملاحدة إليها وتفنيد المؤمنين لها فى الفصول القادمة.

وينقسم الملحدون إلى أربع مجموعات:

1- **علماء وفلاسفة**، تبنوا الإلحاد، ثم وجدوا فى نظرية التطور الداروينى (تطور الكائنات الحية نتيجة لطفرات عشوائية تحدث بالصدفة) حجتهم العلمية الكبرى.

2- **الشيوعيون**، الذين يريدون تحويل المجتمعات البشرية إلى مستعمرات من النمل والنحل، ولن يمكن تحقيق ذلك فى وجود المعتقدات الدينية، فينبغى القضاء عليها ولو بالقوة.

3- أفراد **غير متخصصين غير مأدلجين**، وجدوا فى القول بالإلحاد هروبًا من قيود الدين أو إثباتًا لذواتهم أو تحقيقًا لمصالح أخرى.

4- عدد لا بأس به من **الصامتين**! من كل الديانات والمجتمعات والأجناس، ممن لديهم شك، لكنهم لا يطرحونه للنقاش. ويمكن إرجاع شك هذه الفئة إلى عاملين:

- **المظهر العلمى والفلسفى** الذى يطرح به أصحاب الفكر الإلحادى القوى أفكارهم.
- **الأسلوب المنغلق الذى تعلموا به دياناتهم**، حيث يرفض معلموهم أى منطق أو علم يخالف ما يفهمون، وهو ما يُسمى بأسلوب «هُوَّا كده Just-so». كما يَدَّعى هؤلاء المعلمون الانفراد بالفهم عن الإله، وأن على الآخرين أن يُسَلِّموا لهم بذلك.

ويتمايز الفكر الإلحادى إلى مستويين:

(أ) الفكر الإلحادى القوى Strong (Positive) Atheism

ويمثله هؤلاء الذين ينكرون وجود الإله، ويسوقون على ذلك الأدلة، ويبنون النظريات، ويروجون لفكرهم.

(ب) الفكر الإلحادى الضعيف Weak (Negative) Atheism

ويمثلـه الذين لم يجـدوا أدلة كافية تقنعهم بوجود الإله، لكنهـم لا يقومون بدور إيجابى فى نشر أفكارهم. ويمثله كذلك أولئك الذين لم يعيروا الأمر اهتمامًا كافيًا!

وتتردد فى مجال الإلحاد مصطلحات ينبغى إدراك الفرق بينها، وأهمها:

الملحد Atheist: هو المنكر للدين ولوجود الإله.

اللادينى: يفضل الملاحدة أن يُطلق عليهم اللادينيين، بينـما لفظ اللادينى يعنى من لا يؤمن بدين وليس بالضرورة أن يكون منكرًا للألوهية.

ضد الدين Antitheist: هو الملحد الذى يتخذ موقفًا عدائيًّا من الإله والدين والمتدينين.

الربوبى Diest: هو الذى يؤمن بأن الرب قد خلق الكون، ولكنه ينكر أن يكون قد تواصل مع البشر عن طريق الديانات.

اللاأدرى Agnostic: هـو الذى يؤمن أن قضايـا الألوهية والغيب لا يمكـن إثباتها و إقامة الحجة عليها (كما لا يمكن نفيها)، باعتبارها فوق قدرة العقل على الإدراك.

المتشـكك Skeptic: هو الذى يرى أن براهين الألوهية لا تكفى لإقناعه، وفى نفس الوقت لا يمكنه تجاهلها.

العلـمانى Secularist: العلمانيـة دعـوة إلى إقامـة الحياة عـلى العلم المادى والعقـل ومراعاة المصلحـة بعيدًا عـن الدين. ومن ثم فهو **اصطلاح سـياسى لا علاقة له بعقيدة الفرد الدينية**. ولا شك أن كثيرًا من العلمانيين لادينيون، خصوصًا فى بلاد الغرب.

هل شاع الإلحاد؟

بعد مناقشـة أسـباب نشـأة الإلحاد فى الغرب، والتى بـدأت منذ الثـورة العلمية فى القرنين السادس عشر والسابع عشر، نتساءل: إلى أى حد وصل الأمر الآن؟

فى اسـتفتاء أجراه مذيع الإذاعة البريطانية BBC الشـهير جون همفرى، وشارك فيه 2200 **بريطانىّ**، كانت النتيجة كالآتى:

28 % يؤمنـون بالإلـه، 26 % يؤمنون بشىء لكن غير متأكدين مـن كنهه، 16 % اعتبروا

أنفسهم ملاحدة، 9 % لا أدريين (منهم همفرى نفسه). والباقون إما لم يفكروا فى الأمر أو لا يعرفون أو لم يجيبوا.

وفى دراسة أجرتها أيضًا الـ BBC عام 2004 فى عشر **دول أوروبية**، كانت نسبة الملاحدة 8 %. وفى **الولايات المتحدة**، أجرى معهد جالوب عام 2005 دراسة أظهرت أن نسبة الملاحدة تبلغ 5 %. وهناك دراسات عديدة أخرى أظهرت نتائج قريبة مما سبق.

أما فى **بلاد الشرق**، فليست هناك إحصائيات دقيقة، لكن الانطباع العام أن المشكلة أقل من الغرب بكثير، و إن كان هناك مدٌ إلحاديٌ ازداد بعد ثورات الربيع العربى وما أتاحته من جو الحريات، وسنناقش هذا الأمر فى الفصل الثانى عشر.

الفلسفة الإلحادية المعاصرة

لا شك أن العامل المهم فى ضعف الدين فى الغرب فى العصر الحديث هو شيوع الفلسفات التى ترفض الميتافيزيقيا (ما وراء الطبيعة) وتحصر العلم فى المنهج التجريبى، حتى فى العلوم الإنسانية!. وحتى نستطيع أن نتتبع مسيرة الإلحاد المعاصر، نعرض ما كانت عليه **الفلسفة الإلحادية فى القرن العشرين ومدخل القرن الحادى والعشرين**، وذلك من خلال طرح مفاهيم الفلسفة الوضعية المنطقية Logical Positivism والإلحاد الجديد New Atheism

الفلسفة الوضعية المنطقية Logical Positivism

يُعتبر الفيلسوف الفرنسى أوجست كونت[1] هو مؤسس **الفلسفة الوضعية** Positivism التى تتعامل مع الظواهر والوقائع المادية وحسب، وتتبنى شعار «**ما لا يمكن رصده، لا وجود له**»، رافضة كل تفكير فى الغيبيات وعلى رأسها الإله.

ثم طرح الفيلسوف الإنجليزى سير ألفريد آير[2] عام 1936 **الفلسفة الوضعية المنطقية**[3]

(1) Auguste Comte: (1798 - 1875)، الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسى الشهير.

(2) A. J. Ayer: (1910 - 1989)، فيلسوف إنجليزى، ورئيس نادى سقراط الفلسفى بجامعة أكسفورد.

(3) طرحها آير فى كتابه «اللغة والحقيقة والمنطق Language, Truth and Logic». وكان أول ظهور لهذه الفلسفة فى عشرينيات القرن العشرين، عند مجموعة من الفلاسفة الأوروبيين تُعرف بمجموعة فيينا Vienna Circle.

Logical Positivism، كفـرع من الفلسـفة الوضعية. وتقوم هذه الفلسـفة على «**مبدأ التَثَبُّت** The Verification Principle» الـذى يـرى أن قبول أى افتراض أو مسـألة يتوقف على إثباتها أو نفيها عمليًّا بالتجربة، أو رياضيًّا، أو منطقيًّا من خلال المدلول المباشر للألفاظ التى تشرح هـذا المفهـوم. ومن ثَمَّ، فـلا معنى لأى افتراض أو مسـألة تقع خـارج نطاق العلـم التجريبى أو الرياضيات أو المنطق المباشر.

ومن ثم، ترى الفلسفة الوضعية المنطقية **أن مفاهيم مثل الإله والروح والتدين والإلحاد لا تعـنى شـيئًا؛ إذ لا يمكن إثبات خطئها أو صحتها تجريبيًّـا أو رياضيًّا أو منطقـيًّا**. لذلك فـإن مقـولة مـثل «الله موجود» لا معنى لها، ومن ثَمَّ يتسـاوى أمام العقل أن يكـون الإنسـان مؤمـنًا أو ملحدًا.

وينتهى عصر الفلسـفة الوضعية المنطقية عندما يعلن مُنَظِّرها الأكبر (سـير الفريد آير) فى خمسينيات القرن العشرين أن هذه الفلسفة ملأى بالتناقض، بالرغم من أنه قضى السنوات الطوال فى معالجـة أخطائها. لقـد تنبه آير إلى أنه لا يمكننـا تطبيق قواعد البحـث فى العلوم التجريبية التـى تعتمد على الحـواس (كالكيميـاء والفيزياء) على العلوم الإنسـانية (كالفلسـفة والمنطق والأخلاق). كذلك **لا يمكن دراسة المفاهيم الدينية بمقاييس المفاهيم العلمية**؛ فلا ينبغى ـ مثلًا ـ محاولة فهم مقولة: «إن الله موجود فى كل مكان (كُلِّى الوجود)» بمفاهيم المكان فى فيزياء نيوتن أو فيزياء أينشتين. وبذلك قام آير بإعلان **موت الفلسفة الوضعية المنطقية ودفنها**[1].

عودة الوعى والتدين العقلانى Rational Theism

نفض الفلاسـفة أياديهم من الفلسـفة الوضعية المنطقية بعد أن فتح لهم سـير أنتونى فلو[2] الباب لمناقشة مفاهيم المتدينين، فظهرت فى الساحة التساؤلات حول معنى **الوجود الإلهى**، وإذا كان هناك **إيمان فطرى بالألوهية** داخل نفوسنا، و...

وظهـر هذا التوجه إلى التديـن جَليًّا فى غلاف مجلة تايم Time عـدد أبريل 1980، فجاء فى

(1) بـنى ألفريد آيـر الفلسـفة الوضعية المنطقية عـلى كتابات الفيلسـوف النمسـاوى الإنجليزى **لودفيج ويتجنشـتين** Ludwing Wittgenstein (1889 - 1951)، وكذلك بنى رفضه لهذه الفلسـفة على كتابات الفيلسـوف العظيم نفسـه، الذى سـبقه أيضًا إلى رفضها، عندما وضع **نظرية اللغـة والألعـاب** Theory of language and games، التى ترى أن لكل لغة قواعدها ولكل لعبة قوانينها.

(2) نُعَرِّف به ونناقش دوره فى قضية الإلحاد بعد قليل.

مقـال الغـلاف: «يقود بعض كبار الفلاسـفة **ثورة فكريـة بيضاء**، لم يكـن يتوقعها أحد منذ عقدين من الزمان، وتهدف هذه الثورة إلى إعادة الإله إلى عرشه».

الإلحاد الجديد The New Atheism

الرِدَّة نحو الفلسفة الوضعية المنطقية

مرة أخرى يتفاقم الإلحاد ليطل برأسه تحت اسم **الإلحاد الجديد** The New Atheism، وقد أُستخدم هذا الاصطلاح لأول مرة فى مجلة شبكة المعلومات Wired Magazine [1] عدد نوفمبر 2006.

وقـد لاقت الكتب التى تناولت هذا المفهـوم **رواجًا كبيرًا**؛ إذ وجد فيها الإعلام مادة ثرية ساخنة مثيرة، بالرغم من تواضع ما طرحته من حجج[2]. **وتهاجم هذه الكتابات جميع الديانات** (السـماوية وغير السماوية) باختلاف أماكنها وأزمانها. وبالرغم من ذلك فهى **تتحدث بلهجة وَعْظيـة أصولية**، يرتدى فيها المؤلفون **ثياب الوعَّاظ** الذين يَصِمون القراء بالجهل والسـطحية، ويوجهون إليهم **السُباب اللعين** إذا لم يتوبوا عن إيمانهم الساذج بالربوبية والألوهية!

وعلى القارئ لهؤلاء المؤلفين (نتعرض لأشـهرهم خـلال الكتاب) أن يتبنى موقفًا محددًا: **فمَن ليس معهم فهو ضدهم**، إما أبيض وإما أسود، ولا مجال للمخادعة أو الغموض فى المواقف! حتى الفلاسفة الكبار الذين يُظهرون بعض التفهم لحجج المؤمنين، فقد تم ضمهم إلى قافلة الخونة سطحيِّى الفكر.

أنتونى فلو فى مسيرة الإلحاد

يمكننـا القـول، دون أن نجـترئ على الدقة العلمية، إن سـير أنتونى فلو[3] **أسـتاذ الفلسـفة**

(1) مجلة شـبكة المعلومات Wired Magazine: مجلة أمريكية شهيرة، بدأ إصدارها عن طريق شبكة المعلومات Net فى سان فرانسيسكو فى مارس 1993. وتهتم بطرح تأثيرات التكنولوجيا على الثقافة والسياسة والاقتصاد.

(2) من أهم هذه الكتب:

The Blind watch maker ,The God Delusion, Breaking the spell, Six Impossible things Befor Breakfast.

(3) Sir Antony flew: ولـد فى لنـدن فى 11/ 2/ 1923 لأب من كبار رجال الدين المسـيحى، تبنى الإلحاد منذ صباه وصار من كبار فلاسـفته. وعندما تجاوز من العمر ثمانين عامًا (ديسمبر 2004) أعلن أنه بدافع من الأدلة والشواهد العلمية قد صار يؤمن بأن هناك إلهًا. وفى عام 2007 أصدر كتابًا يشرح فيه أسباب إيمانه، والكتاب بعنوان: هناك إله: كيف عدل أشرس ملحد عن الإلحاد. =

البريطانى الشـهير قد تَزَعَّم حركة الإلحاد فى العالم لما يزيد عن نصف قرن. فقد أَلَّف أكثر من ثلاثين كتابًا وبحثًا فلسـفيًّا كانت بمثابة جدول أعمال الفكر الإلحادى طوال النصف الثانى من القرن العشرين.

لذلـك نزل خبر إقـرار أنتونى فلو بـأن «هناك إلهًا» على الفلاسـفة والمفكريـن الملحدين كالصاعقـة، فانبروا للدفاع عن إيمانهم المقدس بالإلحاد! وعبروا عن سـخطهم وازدرائهم لهذا التحول، وكالوا للرجل كل ما لا يليق من التهم والنقائص.

وفى إطـار الحديث عن الفلسـفة الإلحادية المعاصرة نتسـاءل: ما هى إضافـة أنتونى فلو إلى منهج معالجة فلسفة الإلحاد؟

يمكـن القـول ـ دون أدنى مبالغة ـ إنـه خلال المائة عام الماضية لم يعرض أى فيلسـوف من ذوى الوزن الفكر الإلحادى بالأسـلوب العميق المنظم كما فعـل أنتونى فلو. فقد طرح الرجل حججًا جديدة ضد الإيمان بالله، كما رسـم بأفكاره الأصيلة **خارطة الطريق للفلاسـفة الذين عارضوا الإيمان** والتدين طوال النصف الثانى من القرن العشرين.

فـإذا أخذنا كتابات فيلسـوف عظيم مثل **برتراند رَسِـل**[1]، كمثال لمـا كُتب عن الإلحاد فى القرن التاسـع عشر والقرن العشرين، وجدناها لا تخرج عن مقالات أدبية سطحية، لا تطرح فكـرًا عميقًـا، وفى أفضل حالاتها تلفت النظر إلى المشـكلات النفسـية للإنسـان (مثل معاناة البشرية للشر والألم) دون معالجة جديدة[2].

= There is a god: How the world's most notorious atheist changed his mind.

وقد توفى فى لندن فى 8/ 4/ 2010.

(1) Bertrand Russell: وُلـد فى ويلـز بالمملكة المتحدة (1872 - 1970). وهو فيلسـوف ورجل منطق عظيم، من علماء الرياضيـات، ومن المهتمين بالتاريخ الإنجليزى، ومن المناهضين للحروب والتوسـع الاسـتعمارى. حصل على جائزة نوبل فى الأدب عام 1950 لكتاباته عن المُثل الإنسانية العليا ووقوفه بجانب حرية الفكر.

(2) نشير هنا إلى ثلاث دراسات تُعتبر علامات بارزة وضعها أنتونى فلو فى مسار الفلسفة الإلحادية:

1- **تزييـف علـم اللاهوت** Theology and falsification: بحث قدمه أنتونى فلو عام 1950، حاول فيه نسـف قضية الإيمان من أساسـها، بأن أكد خواء المقولات الدينية من أى مفاهيم وأفكار ذات معنى، ودعى فى الوقت نفسـه إلى **فتـح باب الحوار بين الملاحدة والمتدينين**. وقد صار هذا البحث من أكثر الدراسـات الفلسـفية انتشـارًا فى القرن العشرين.

2- **كتـاب «الإلـه والفلسـفة** God and Philosophy» (1966): يؤكد فيه فلو أنه لا ينبغـى إصدار الحكم فى قضية=

يبدو أن الفلاسـفة الكبار كانوا يترفعون عن أن «يلوثوا أياديهم الرقيقة وعقولهم الحكيمة بالخوض فى هذه القضية الشعبية السوقية المبتذلة!»، قضية التدين والإلحاد!

وأخـيرًا نقول: إنه من الموافقات العجيبة، أن سـير أنتونى فلو الذى **وقف فى وجه الفلسـفة الوضعية المنطقية الإلحادية** منذ خمسين عامًا، ورفض ما تمارسه من تعالٍ متغطرس وازدراء تجاه المفاهيـم الدينية، هو الذى **تصدى للإلحاد الجديد**. لقـد كان هو الرجل القادر على أن يدحض حجج الملاحدة الأقدمـين والمعاصرين، ويحلل ما يقدمه العلم الحديث فى هذا المضمار. وهذا ما سنتعرض له فى الفصل الثالث عشر ببعض التفصيل.

منهج الملاحدة الجدد

«إذا كانـت القطط لم تمثل قطيعًـا Herd **بعد، فإن أعدادًا معقولة منها تسـتطيع أن تُصدر ضوضاءً مزعجة لا يمكن تجاهلها».**

هكـذا يحدد كبير الملاحدة الجدد **ريتشـارد دوكنز**[1] لطلائـع قطيعه (كما وصفهم هو) فى كتابـه «وهم الإله» منهـج العمل فى الفترة القادمة؛ **المزيد والمزيـد من الصراخ والضوضاء فى مواجهة الديانات.** لكن لماذا؟ ما الذى دفعهم لذلك؟ ما هدفهم؟

ويأتى وراء ريتشارد دوكنز (زعيم طلائع قطيع الملاحدة) ثلاثة من جنود الإلحاد الأقل منه

= «هل هناك إله؟» قبل أن يطرح المتدينون **تصورًا واضحًا لصفات هذا الإله**، ويعتبر أنه لا معنى لوصف المتدينين للخالق بأنه (الروح، كلى الوجود، كلى العلم).

3- **كتـاب «فرضيـة الإلحـاد** The Presumption of Atheism» (1976). وفيه يدير فلو الدفة تمامًـا ليجعل الكُرَة فى ملعب المتدينين، **فيضع على عاتقهم مهمة إثبات وجود الإله**، بعد أن كان التناول الفلسفى السابق يطالب الملاحدة بإثبات عدم وجود الإله.

(1) Richard Dawkins: بريطانى وُلـد فى نيروبى بكينيا عـام 1941، يعيش الآن فى أكسـفورد. وهـو بيولوجـى، كـان يشغـل منصب أستاذ تبسيـط العلوم فى جامعـة أكسفـورد. وصل إلى الشهـرة من خـلال كتابـه «الجين الأنانى The Selfish Gene» الذى صدر عام 1976، وعرض فيه مفهومه للتطور من خلال دور الجينات. وهو من المعارضين لمفهوم الخلق الخاص ومفهوم التصميم الذكى كما ظهر فى كتابه «صانع الساعات الأعمى The Blind Watch Maker». وفى عـام 2006 أصدر كتاب «وهم الإله The God Delusion» الذى ينكر فيه وجود أى قوى غيبية، وينظر إلى الإيمان باعتباره من الضلالات والأوهام، ويُعتبر هذا الكتاب أشهر كتبه الآن.

سُـمعة. أولهم البريطانى المولد الأمريكى الإقامة **كريستوفر هتشنز** Christopher Hitchens الكاتب والإعلامى وأستاذ الدراسات الحرة فى نيويورك، وقد اشتهر بكتابه «الإله ليس عظيمًا God is not Great». ويـأتى بعـده الفيلسـوف **دانيـل دينيـت** Daniel Dennett الذى يصف نفسه بأنه فيلسوف لا إله له، وهو صاحب كتاب «الخروج عن النص: الدين كظاهرة طبيعية Breaking The Spell:Religion as a Natural Phenomenon ». وأخيرًا يأتى أصغرهم، **سـام هاريـس** Sam Harris المتخصـص فى علوم المخ والأعصاب، وصاحـب كتاب «نهاية الإيمان: خطاب إلى أمه مسيحية The End OF Faith, Letter To A Christian Nation».

وبالإضافـة لهـذا الفريق من الملاحدة الأربعة، لمع فى السـنوات الأخيرة نجم رئيس قسـم الفيزيـاء النظرية الأسـبق بكمبردج، **سـتيفن هوكنـج** Stephen Hawking [1]. فبعد أن ترك البـاب مواربًا لسـنوات طويلة، أعلن فى آخر كتبه «التصميـم العظيم The Grand Desing» أنه لم يعد هناك مجال للقول بوجود الإله[2].

وسائل الإزعاج

ومن أجل أن يصدر طلائع قطيع القطط وقائدهم دوكنز ما يكفى من الصراخ والضوضاء فى مواجهة الأديان، فإنهم لم يكتفوا **بالأسـاليب المعتادة**؛ كتأليـف الكتب والمقالات، وإلقاء

(1) Stephen Hawking: عـالم الفيزياء النظرية والرياضيات التطبيقية البريطانى، يشـغل كرسى أسـتاذ الرياضيات الذى كان يشـغله إسـحق نيوتن بجامعة كمبريدج. وُلد عام 1942. وهو مشـهور بأبحاثه فى الكون وخاصة الثقوب السـوداء. اهتم بتبسيط العلوم للعامة، وقد صار كتابه «تاريخ موجز للزمن» أكثر الكتب العلمية مبيعًا فى التاريخ، فقد بيع منه نسـخة لكل 500 إنسـان على سـطح الأرض. وقد أصيب فى بداية شـبابه بمـرض Amyotrophic lateral Sclerosis الـذى أدى إلى شـلل تام شـمل عضـلات العنق والـرأس، وهـو يتعامل مع المحـيطين مـن خـلال أجهـزة يوجهها بحركات عينيه وشفتيه!! إذ أفقده المرض القدرة على الحركة والكلام.

(2) مـن غير المتحـدثين بالإنجليزية، يقابلنا **الفيلسوف الفرنسى مايكل أونفراى** Michel Onfray صاحب كتاب «دفاع عن الإلحاد In Defence of Atheism» وقد اعتاد أن يحشـد الجموع الهائجة ليخطب فيهم وهو يرتدى السـواد من أم رأسـه حتى أخمص قدميه. وفى **إيطاليا**، يقابلنا الرياضى **بييرجيورجيو أوديفريدى** Piergiorgio Odifreddi صاحب كتاب «لماذا لا نستطيع أن نكون مسيحيين Why we Can't be Christians»، الذى يسخر فيه من الكنيسة.
أمـا **فى العالم العربى**، فبالرغم من ظهور موجة إلحادية فى السـنوات الأخـيرة، زاد ارتفاعها وحدتها مع ثورات الربيع العربى، فما زال صوت الملاحدة منخفضًا، وما زال معظمهم مختبئين. وفى الفصل الثانى عشر من الكتاب سنتحدث عن بعض النماذج منهم وعن سمات إلحادهم.

المحـاضرات، وعقد المناظرات، والظهور فى البرامج التليفزيونية والفضائيات، والحديث عبر شبكة المعلومات (نت)، وهى الطرق المعتادة لطرح الأفكار، بل إنهم ابتدعوا **طرقًا جديدة**.

ففى أثناء سـيرك فى شـوارع **لندن**، قد تقع عيناك على أحد أتوبيسـات النقل العام الحمراء ذات الطابقـين وقد عُلِّـق عليها إعلانًا لمحـاضرة أو مناظرة لدوكنز. وكثيرًا مـا تقع عيناك على إعـلان كُتب عليه: «**فى الأغلب ليس هناك إله، لا تقلق، واسـتمتع بحياتك**»[1]. هذا بالإضافة إلى ظهور مثل هذه الكلمات على مختلف السـلع؛ كالبيرة مثلًا. ويتحمل دوكنز جزءًا كبيرًا من تكاليف هذه الحملات.

ومن إعلانات الأتوبيسـات إعلان يشـترك دوكنز فى دفع أجره مع الاتحاد البريطانى لحقوق الإنسـان منذ عام 2009، ويُظهر الإعلان طفلين سعيدين يخاطب كل منهما والديه قائلًا: «**من فضلكـما لا تصنفونى (كمتدين)، دعونى أكبر لأختـار لنفسى بإرادة حرة**»[2]. إن هذا الإعلان يدعـو إلى الإلحاد بدعـوى حرية الإرادة، إن الملاحـدة يطالبوننا بألا نُعَـرِّض أطفالنا لتأثيرات تربويـة تدعوهم إلى الإيمان، بينما يتمادون هم فى التأثـير عليهم وتوجيههم إلى الإلحاد. كذلك يمثل إعلان «غالبًا ليس هناك إله، لا تقلق واستمتع بحياتك» **سقطة تربوية خطيرة**.

وفى **ألمانيـا**، عجـز الملاحدة عـن الحصول عـلى موافقة النقـل العام على هـذه الإعلانات، فاستأجروا أتوبيسات خاصة، وعَلَّقوا عليها أقوالًا مثل: «ليس هناك إله»[3]، «إن الحياة الممتعة لا تحتاج لإيمان». وفى مواجهة هذه الحملات، يُسَيِّر المسيحيون أتوبيسات عَلَّقوا عليها: «وماذا لـو ثبت أن الإله موجود». وقد اسـتغل الإعـلام هذه المناظرات الأتوبيسـية، وصار يصورها ويجعلها موضوعًا لبرامجه.

رسم الخطط: البديل عن الإله

مـن الطبيعـى أن يلتقى الملاحدة لتوحيد كلماتهم ورسـم الخطط لطلائـع القطيع من أجل

(1) There's probably no God, now stop worrying and enjoy your life

(2) Please don'd label me, let me grow up and choose for my self

(3) لقد تمسـك البريطانيون بكلمة Probably **«غالبًا»** ليس هناك إله، خشـية المسـاءلة القضائية من قِبَل المتدينين إذ لن يستطيع الملاحدة إثبات أن الإله غير موجود.

إصدار المزيد من الصراخ والضوضاء. ومن أهم لقاءاتهم كان هذا المؤتمر الذى عُقد عام 2006 فى مؤسسة سالك Salk فى كاليفورنيا. وكان عنوان المؤتمر: **ماذا بعد الإيمان: العلم ـ الدين ـ العقل ـ الحياة**[1]. وكان من المتحدثين من كبار الملاحدة ريتشارد دوكنز وستيفن وينبرج.

يبين عنوان المؤتمر أن الإلحاد الجديد لا يركز فقط على العلمنة الشاملة عن طريق محو الإله من الوجود، بل ويهتم أيضًا بوضع بديل عنه. ويؤكد العنوان أن الذى يقوم بذلك ليس المجتمع ولا الفلسفة، لكن العلم هو الوحيد القادر على طرح البديل، إن **العلم هو الملك**.

وكان المؤتمر يطرح ثلاثة أسئلة:

1- هل يستطيع العلم إزاحة الدين من الحياة؟

2- ما الذى يطرحه العلم كبديل عن الدين؟

3- هل يمكن أن نكون فضلاء (Good) بدون الدين؟

يُظهر السؤالان الأولان أن الإلحاد جزء من هدف أكبر، هو **تتويج العلم على عرش الكون والإنسان**. ولما كان المؤتمِرون يدركون أن القيم المسيحية هى مصدر المفاهيم الأخلاقية فى الغرب فقد وضعوا السؤال الثالث، بغية أن يزيحوا الدين عن ساحة الحياة تمامًا، وبذلك يثبتوا أن الدين ليس خطأً من الناحية العقلية والعلمية فقط، لكن أيضًا من الناحية القيمية والأخلاقية.

وقد انتهى المؤتمر إلى صياغة المفاهيم الأساسية التى ينبغى أن ينطلق منها **جدول أعمال الإلحاد المعاصر**، وهذه المفاهيم هى:

1- الدين وهم خطير، يؤدى إلى العنف والحروب.

2- ينبغى التخلص من الدين، وسيقوم العلم بهذه المهمة.

3- لا نحتاج لإله لنكون على خُلُق، فالإلحاد يمكن أن يكون منطلقًا قويًّا للأخلاق.

وقد اعتبرت مجلة The New Scientist هذا المؤتمر ذا أهمية كبيرة، حتى إنها فى عددها

(1) Beyond Belief: Science, Religion, Reason And Survival

الخاص بمناسبة مرور خمسين عامًا على إصدارها نشرت مقالًا عن المؤتمر بعنوان «**البديل عن الإله** In Place Of God».

هل من جديد عند الملاحدة الجدد؟

يطلق الملاحدة الجدد على أنفسهم اسم The Brights (اللامعون ـ الساطعون ـ المشرقون ـ الوضَّاءون ـ المتألقون ـ الأذكياء ـ ....)، مما يشير إلى أن الآخرين (المتدينين) هم الخافتون ـ المعتمون ـ البليدون ـ الداكنون ـ المظلمون ـ وربما الأغبياء. ويُعَرِّف الملاحدة الجدد أنفسهم بأنهم الذين **يتبنون المفاهيم العلمية ويرفضون المفاهيم الغيبية**. كما يعتبرون أنفسهم **سلالة مرحلة الاستنارة** Enlightenment التى ظهرت فى أوروبا فى بدايات العصر الحديث فى مواجهة ظلام وظلمات المفاهيم الدينية التى سادت فى العصور الوسطى.

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا: **هل أثرى كُتَّاب هذه الموجة المناقشات الفلسفية والعلمية** التى اسْتَعَرت طوال العقود السابقة حول قضية التدين؟

والإجابة بالنفى، وذلك لثلاثة أسباب:

أولا: لم يُدْلِ العلماء المتفلسفون الملاحدة الجدد برأى ذى قيمة فى القضايا الفلسفية المتعلقة بمفهوم الربوبية[1]، بل نجد منهم **تهربًا عجيبًا** من هذه القضايا. فهذا كبيرهم ريتشارد دوكنز يصف نشأة الحياة والعقل بأن ذلك كان «حادثًا عارضًا نتيجة **لضربة حظ**!». وهذا لويس ولبرت[2] يقول: «لقد تعمدت تحاشى الخوض فى نشأة العقل؛ إذ إننا ما زلنا **لا نفهم عنه شيئًا**!». بينما يحل الفيلسوف والبيولوجى الأمريكى دانييل دينيت[3] معضلة نشأة العقل بسذاجة شديدة؛ إذ يقول: «ثم حدثت المعجزة !!».

ثانيًا: لم يدرك الملاحدة الجدد **نقاط الضعف الجذرية** فى بنية «الفلسفة الوضعية المنطقية»

(1) سنعرض هذه القضايا خلال فصول الكتاب.

(2) Lewis Wolbert: وُلد فى إنجلترا عام 1929. يشغل منصب أستاذ البيولوجيا التطورية بقسم التشريح بجامعة لندن. وهو إعلامى ومؤلف شهير، وأشهر كتبه Six impossible things befor breakfast، صدر عام 2006.

(3) Daniel Dennett: وُلد فى بوسطن عام 1942. وهو فيلسوف ملحد مهتم بفلسفة العقل وفلسفة العلم، وبالبيولوجيا التطورية.

البائدة التى يسعون لإحيائها، وأهم هذه النقاط **تطبيق المنهج العلمى التجريبى على العلوم الإنسانية**. ولا شك أن مَن يتجاهل الأخطاء المنهجية فى القضية التى يتعامل معها سوف يقع فيها لا محالة، وقد حدث.

ثالثًا: لم يَطَّلع الملاحدة الجدد على الكم الهائل من **الدراسات الفلسفية الجديدة**، ولا على **البراهين القوية التى قدمها العلم** وصارت تخدم قضية الإيمان.

لذلك، فإن من يسمون أنفسهم بالملاحدة الجدد The New Atheists **لم يقدموا مفاهيم أوحججًا جديدة بالمرة**. الجديد فقط هو هذه **النغمة العدائية العدوانية** التى صاروا يستعملونها، فلم يعودوا يكتفون بأنهم «**لادينين** Atheists» ينكرون الوجود الإلهى، لكنهم يصفون أنفسهم بأنهم **ضد الدين** Antitheist.انظر إلى قول كريستوفر هتشنز: أنا لست لادينى بقدر ما أنا ضد الدين، فأنا لا أعتقد فقط أن كل الديانات كاذبة، بل اعتقد أن تأثير الكنيسة ضار. ثم لخص هتشنز فكره فى مقولته التى اشتهر بها «الدين يسمم كل شىء Religion Poisons Every thing». ويؤيد سام هاريس هذا المعنى فيقول: هدفنا أن نحطم كل مظاهر الاحترام للقيم والمفاهيم التى اشتهرت بها المسيحية.

ومن ثم فالجديد عند الملاحدة الجدد هو **مهاجمة الإله والأديان بصفاقة ووقاحة**، كجزء من فقدان احترامهم للمسيحية.

لذلك نقول، بمنتهى الموضوعية، **إن الإلحاد الجديد ما هو إلا رِدة وقحة إلى الفلسفة الوضعية المنطقية التى تم رفضها ودفنها من قِبَل أشد المتحمسين لها.**

ما كل هذا الحقد ضد الإله والدين، وضد الإسلام!

يُسَوِّد الملاحدة المعاصرون الصفحات تلو الصفحات بتفاصيل **الشر والرعب الذى تسببه الديانات**؛ ابتداء من الأصوليين المسلمين بعملياتهم الانتحارية واختطافهم الأبرياء، إلى ما يقوم به بعض القس من اغتصاب للأطفال فيجردوهم من براءتهم ويسببون لهم مشاكل نفسية، إلى غسيل المخ الذى يمارسه رجال الدين الذين يسرقون أموال الناس، إلى التطهير العرقى فى البلقان، إلى المجازر بين البروتستانت والكاثوليك فى أيرلندا الشمالية، إلى الطبقية الدينية فى المجتمع الهندى...

ويعلـن دوكنز أنه يحلم ـ كما يقول جون لينون (مطـرب البيتلز) فى إحدى أغنياته ـ **بعالمٍ بغير دين.** عالم خال من الحرب بين الإسرائيليين والفلسطينيين وخال من هؤلاء الذين يجلدون النساء لأنهن أظهرن بوصة واحدة من أجسامهن.

وفى حوار مع دوكنز أجرته مجلة دير شـبيجل الألمانية، أعلن أن أحداث 11 سـبتمبر[1] قد حولته إلى إنسـان متطـرف (راديكالى) Radicalised him. ويقـول فى موضع آخر: لقد تلاشى بقايـا مـا فى نفسى من احـترام للديانات مع الدخان والـتراب الخانق لانفجارات 11 سـبتمبر. وعلقـت المجلة بأن **هذا الحادث المـروع هو الذى أدى إلى ميلاد الإلحاد الحديث**. وكان عنوان المقال: الإله مسئول عن كل شىء.

وفى أحد اللقاءات الإعلامية، طفح كل ما بداخل دوكنز من **كراهية للإسلام**، فأعلن: «إن المسـيحية قد تكون الحصن الأخير ضد شر أسـوأ منها». إذن القضيـة لم تعد عداءً للدين على إطلاقه، بل عداء وكراهية للإسلام بشكل خاص. أخيرًا سقط القناع وظهرت الحقيقة.

ويـروج الملاحـدة أن **العالم المتحضر لم يعد يطيق صبرًا على الدين** ـ وعلى الإسـلام بصفة خاصـة ـ الـذى صار متطرفًا وخطيرًا إلى حـد بعيد، لذلك ينبغى القضاء عليه. ويقول سـتيفن وينـبرج الحائز على جائزة نوبل: ينبغى أن يفيق العالم من كابوس الديانات الذى طال، **ينبغى علينا كعلماء أن نفعل أى شىء من أجل أن نخفف من قبضة الدين**، ولا شـك أن هذا سـيكون عطاءنا الأكبر للحضارة ! لاحظ كلمة أى شىء هذه، وإذا كان عطاء العلماء الأكبر للحضارة هو محاربة الأديان فمن يهتم بالعلم!

ويلخص دوكنز سبيل ذلك قائلًا: ينبغى رفع وعى الآخرين بإظهار جاذبية الإلحاد المعاصر، وبذلك نُثَبِّت أقدام الإلحاد فى عالم التطرف.

يا الله ... **ما كل هذا الحقد ضد الإله، وضد الدين، وضد الإسلام؟!**

لا شـك أن مثل هذه المقولات تجد صداها فى عالم يضج بالإرهاب الذى يمارسـه المتطرفون، فمن منا لا يحلم بعالم خال من هذا الرعب، ولا أحد ينكر أن هناك مشاكل يسببها المتطرفون الدينيون.

(1) إشارة إلى تفجير برجى مركز التجارة العالمى فى نيويورك عام 2001.

لكـن **هـل التطرف قاصر عـلى الدين فقـط؟** ألم يُقتل المئـات من البـشر فى صراعات بين مشجعى كرة القدم!

أإلى هـذا الحـد يبلغ تزوير التاريخ؟ هل كان أكثر قتلى الحـروب ضحايا صراعات دينية؟ هل كانت **الحربان العالميتان الأولى والثانية** ـ أشد المجازر فى تاريخ البشرية ـ حروبًا دينية؟

وهل كان **الاتحاد السـوفييتى الشيوعى** الخالى من الديانات مدينة فاضلة؟ وكم كلف إقامة هذه الدولة الملحدة البشرية من خسائر؟

هل حياة الإنسان بدون دين حياة مطمئنة؟ انظر إلى قول جان بول سارتر: «**إن الإلحاد أمر أليم وقاس** Atheism is a Long, hard and cruel Business، **فثبوت غياب الإله أشد وطأة على النفس من ثبوت وجوده**». أما الملاحدة الذين توقفوا عن القلق فهم هؤلاء الذين توقفوا عن التفكير.

إن كل مـا يذكـره الملاحدة من صراعات إنما يرجع إلى **نقائص نفـوسٍ بشرية** تتخذ من الدين ـ ومن غيره ـ ستارًا لأحقادها، ولو اختفى الدين فستمارس هذه النفوس الصراع تحت اسم آخر.

متتاليـــة
الفكر المادى، الحضارة المادية، ثم الإلحاد[1]

ارتبطت نشأة الإلحاد المعاصر بظهور الفكر المادى ارتباطًا وثيقًا، حتى يمكن القول إن **الإلحاد هـو الابن الشرعى لهذا الفكر**. ويُعتبر **الدكتور عبد الوهاب المسـيرى**[2] من أفضل مَنْ عرضوا

(1) عن كتاب: رحلة الدكتور عبد الوهاب المسيرى الفكرية، دراسة فى فكره وسيرته. تأليف د. عمرو شريف. الناشر: نيوبوك، الطبعة السادسة، 2015.

(2) **الدكتـور عبد الوهاب المسـيرى:** ولد بدمنهور بمصر عام 1938 (توفى بالقاهرة عـام 2008). تخرج من كلية الآداب ـ قسـم اللغة الإنجليزية ـ جامعة الإسـكندرية عام 1955، ثم حصل على الماجسـتير من جامعة كولومبيا عام 1964 والدكتوراه من جامعة رتجرز عام 1969، حيث عمل بالتدريس عدة سـنوات. ثم عمل مستشـارًا ثقافيًّا للوفد الدائم لجامعـة الـدول العربية لدى هيئـة الأمم المتحدة بنيويـورك قبل عودته عام 1979 للعمل كأسـتاذ للغـة الإنجليزية بجامعة عين شمس وجامعات السعودية والكويت.

أشـهر مؤلفاته «**موسـوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج معرفى جديد**» صـدرت فى ثمانية مجلدات عام 1999، وهى من أعمق المراجع العالمية فى مجالها. وله العديد من الكتب حول سلبيات الحضارة المادية، مثل «نهاية التاريخ» و«إشـكالية التحيز» و«العلمانية الجزئية والعلمانية الشـاملة» و«الحداثة وما بعد الحداثة». بالإضافة إلى عدة كتب فى النقد الأدبى وأدب الأطفال، وديوان من الشعر.

هـذه العلاقة فى وضوح وتناسـق وتراكب يصعـب نقضه. لذلك لا يتكامل الحديث عن نشـأة الإلحاد المعاصر وسماته دون طرح مفاهيم د. المسيرى حول الفكر المادى والحضارة المادية.

الحضارة المادية

يقـول د. المسـيرى: الحضـارة الحديثة ـ فى تصـورى ـ **حضارة عقلانية ماديـة** (لا عقلانية وحسـب)، **فإنجازاتها الضخمة** (التكنولوجيا ـ العلم ـ السـيطرة على العـالم) هى نتاج رؤيتها المادية، التى تطلبت اسـتبعاد الكثير من العناصر الأخلاقية والإنسانية (العناصر غير المادية)، وذلك لتبسيط الواقع بهدف التحكم فيه (إذ لا يمكن التحكم إلا فيما هو بسيط).

أمـا **إخفاقـات الحضـارة المادية الحديثـة** فلا تقـل ضخامة عـن إنجازاتها، ومـن أهم تلك الإخفاقـات: الأزمـة البيئيـة ـ الحروب العالمية ـ فقـدان الاتجاه (أى أن لا يعرف الإنسـان أين هـو ذاهب) ـ ظهور العَبَثية (أى أن يتصور الإنسـان أن العـالم لا معنى له وأن الصدفة العمياء تتحكـم فيه) ـ تَحَوُّل الوسـائل إلى غايـات...، وهـذه الإخفاقـات ـ مثـل الإنجازات ـ **من نتاج الرؤية المادية** للحضارة الحديثة.

وتمثل الحضارة الحديثة **«بناءً ماديًّا» ذا مستويين**:

مستوى فلسفى (الأفكار المادية، التى هى نتاج العقل المادى).

ومستوى تطبيقى عملى، وهو المتمثل فى مظاهر الحضارة الحديثة، بإيجابياتها وسلبياتها.

العقل المادى

وفى وصفه للعقل المادى يقول د. المسـيرى: والعقل المادى (الذى أنشـأ هذه الحضارة) **عقل محايد**، لا علاقة له بالأخلاق أو بالأسـئلة الكلية (الخاصة بمنشـأ الإنسـان ومآله، والغرض من وجـوده فى الكـون) أو بالمقدس أو بما يتجـاوز عالم الحواس الخمس المبـاشر. ويتعامل العقل المادى مع ما يصله من معلومات ومعطيات ولا يمكنه تجاوزها. لذا فهو يفرز ما يمكن تسـميته **«منطق الأمر الواقع»** أو **«أخلاق الصيرورة»**، أى أنه لا يعترف بوجود قيم أخلاقية أو إنسانية ثابتـة مسـتقرة، ويرى أن كل شىء ـ بما فى ذلـك تلك القيم ـ فى حالة تغـير وتحول دائمين؛ ولذا يفرض هذا المنطق على الإنسان أن يستمد قيمه من واقعه المتغير.

والعقل المادى **لا يهتم بالسمات الخاصة للظواهر أو بخصوصيات كل إنسان فرد**، فهو **يركز على الجوانب العامة**. ويمكن تشبيهه بأشعة إكس، التى تعطينا صورة للهيكل العظمى للإنسان ولكن لا يمكنها أن تنقل لنا صورة الوجه الإنسانى فى أحزانه وأفراحه. وفى نفس الوقت **يهتم هذا العقل بالتفاصيل بشكل مبالغ فيه**! لذلك يمكن تشبيهه أيضًا بالميكروسكوب الذى يُظهِر أدق تفاصيل الخلية دون أن ينقل لنا الصورة الكلية لهذه الخلية.

ولما كان **التاريخ** بنية غير مادية، تتسم بالتركيب والإبهام، فلا يمكن للعقل المادى أن يتعامل معه بكفاءة، خاصة وأن التاريخ من صنع الإنسان ذى الجانبين (المادى والروحانى). لذلك فالعقل المادى **يقدس الأمر الواقع على حساب الحق التاريخى** (يشير الدكتور المسيرى بذلك إلى الصراع العربى الإسرائيلى).

نخلص من هذا إلى أن مهمة العقل المادى هى اختزال كل شىء ـ بما فى ذلك الإنسان ـ فى جانبه المادى فقط، بهدف الاستفادة منه، لذلك فهو **يقوم بهدم الإنسان وتفكيكه إلى عناصر مادية أولية**. ويعتبر الفكر المادى أن العقل يفكر كما تهضم المعدة الطعام وكما تفرز الكبد الصفراء. وهذه الرؤية العقلانية المادية للإنسان ترده إلى طينته وتنزع عنه القداسة وتفقده مركزيته فى الكون.

الفكر المادى

كان طبيعيًّا أن يفرز العقل المادى فكرًا ماديًّا يعرض د. المسيرى أهم ملامحه فيقول: لعل **«هوبز»**[1] هو أول مفكر ساير المفاهيم المظلمة للعقلانية المادية، حين أعلن أن الإنسان ذئب لأخيه الإنسان، وأن التعامل الاجتماعى بين البشر لا يتم بسبب فطرة خَيِّرَةَ فيهم، وإنما من فرط خوفهم، ويتم بدافع غريزة حب البقاء. وقد اتفق معه **«ماكيافللى»**[2] حين أعلن أن الوسائل كلها مبرَرَة من أجل تحقيق السلطان السياسى.

أما **«إسبينوزا»**[3] و**«نيوتن»**[4] فقد قدما عالمًا آليًّا تمامًا، لا تُستثنى الذات الإنسانية من

(1) Thomas Hobbes: (1588 - 1679)، من كبار الفلاسفة السياسيين البريطانيين.

(2) Niccolo Machiavelli: (1469 - 1527)، فيلسوف إيطالى، اشتهر عنه قوله بأن الغاية تبرر الوسيلة.

(3) Baruch Spinoza: (1632 - 1677)، الفيلسوف الألمانى اليهودى، من الدعاة لمفهوم وحدة الوجود.

(4) Isaac Newton: (1642 - 1727)، عالم الفيزياء البريطانى الأشهر، صاحب قوانين الحركة والجاذبية.

قوانينه المادية. وأكد هذا المعنى الفلكى **«لابلاس»**[1] حين قال لنابليون: إن تصوره لبنية الكون لا يحتاج لافتراض وجود إله.

وأَكَّدَ **«جون لوك»**[2] أن العقل صفحة بيضاء تتراكم عليها المعطيات المادية، وأن ليس هناك دور لفطرة خَيِّرَة توجهه. وبَيَّنَ **الماركيز «دى صاد»**[3] و**«فرويد»**[4] أن الإنسان يحوى الذئب داخله (دوافع) وخارجه (سلوك)، وأن ذاته المتحضرة ما هى إلا قشرة واهية تخبئ ظلمة تعوى داخل الإنسان ومِنْ حوله. ويرى **«دارون»**[5] ضرورة الصراع من أجل البقاء، وأن البقاء للأصلح. وقد أعلن **«نيتشه»**[6] أن ما تفرضه الذات الإنسانية من مُـثُل وهمية هى إحدى الحيل التى يحاول بها الضعفاء أن يخنقوا حقوق الأقوياء. ويرى **«ماركس»**[7] أن الذات الإنسانية المستقلة وهْم ما بعده وهم، فوراء المُثل والقيم يوجد الصراع الطبقى ووسائل الإنتاج.

ويصل هذا الاتجاه إلى قمته فى **فكر ما بعد الحداثة، الذى يُعتبر دريدا**[8] **أشهر فلاسفته**، فلا وجود فيه لذات إنسانية تميز الإنسان بما تحمله من قيم ومُثل عما حوله من الماديات، كما لا توجد غاية عُليا للوجود الإنسانى.

وقد انعكست هذه النظرة الفلسفية على بنية المجتمعات المادية، أى على **المستوى التطبيقى العملى**. ويمكن اعتبار أن القرن التاسع عشر قد شهد **انتقالًا تدريجيًّا من الرؤية الآلية للإنسان** إلى **الرؤية العضوية**. فإذا كان «**نيوتن**» قد جعل من الكون ساعة والإله هو صانع الساعات الماهر (الرؤية الآلية)، فإن عالَم «**دارون**»العضوى يختفى منه «الإله» تمامًا؛ فأصول الإنسان

(1) Marquis de leplace: (1749 - 1827)، عالم فلك ورياضيات فرنسى.

(2) John locke: (1632 - 1704)، فيلسوف السياسة الإنجليزى.

(3) Marquis de sade: (1740 - 1814)، النبيل والفيلسوف والكاتب الفرنسى.

(4) Sigmund Freud: (1856 - 1939)، طبيب الأمراض العصبية النمساوى، مؤسس علم التحليل النفسى.

(5) Charles Darwin: (1809 - 1882)، عالم البيولوجيا البريطانى الأشهر، صاحب نظرية التطور.

(6) Friedrich Nietzsche: (1844 - 1900)، فيلسوف الإلحاد الألمانى الأشهر، الذى بَشَّرَ بالإنسان الأعلى (السوبر مان).

(7) Karl Marx: (1818 - 1883)، الفيلسوف الاجتماعى الألمانى الشهير، أشهر آثاره كتاب «رأس المال».

(8) Jacques Derrida: (1930 - 2004)، الفيلسوف الفرنسى اليهودى، وُلد فى الجزائر. اشتهر بمذهبه فى الفلسفة التحليلية الذى يُعرف باسم الفلسفة التفكيكية Deconstruction، التى لا تعترف إلا بالأصول المادية للأشياء والظواهر، وتتنكر لكل ما هو غيبى. له أكثر من أربعين كتابًا.

تعـود لأسـلاف القردة العليـا ومن قبلهـا الزواحف. ثم يؤكـد «**فرويد**» أن غابـة القِرَدة تقع داخل الإنســان على شـكـل «لا وعى» مظلـم وغرائز متفجرة. وقـد أجرى العالِم الروســى «**بافلوف**»[1] تجاربه على الكلاب ثم طبق نتائجها على الإنســان، فقد كان يفترض أنه لا توجد فروق جوهرية بين كليهما. وأخيرًا يأتى «**فوكوياما**»[2] (فليسوف ما بعد الحداثة) ليزيد الطينة بِله، إذ يقارن الإنســانية ببعض الأشـكال التى خُطت على الرمال، ثم تمحوها الأمواجّ! أى أننا **أصبحنا لا شىء**. انتهى كلام د. المسيرى.

هكذا اختفى الإله، كما اختفى الإنســان المتســامى من عالِم الفكـر المادى، فصار الإلحاد إفرازًا مباشرًا لهذا الفكر.

القارئ الكريم...

«**الإلحـاد المعاصر صناعة أوروبية**»، رأينا فى هذا الفصل كم هى صواب هذه المقولة. و إذا كانت أوروبا قد شهدت أعتى موجة إلحادية فى أعقاب **الثورة العلمية**، فلا يعنى ذلك أن العلم أب روحى للإلحاد، إذ لا يتعارض أى من الاكتشافات العلمية العديدة مع الوجود الإلهى، لكن ترجع نشأة الإلحاد المعاصر إلى **عوامل نفسية** صاحبت تلك الثورة.

أما **الأب الحقيقى للإلحاد فهو الفكر المادى**، الذى أعاد إحياء **الفلسفة الوضعية المنطقية** بعد موتها! تلك الفلســفة التى تطلب لكل افتراض أو مســألة برهانًا تجريبيًّا أو رياضيًّا أو منطقيًّا مباشرًا، فكان طبيعيًّا أن ترفض تلك الفلســفة جميع العلوم الإنســانية والدينية التى لا تقوم على هذه البراهين!، وقد أفرزت هذه النظرة ـ بداهة ـ الفكر الإلحادى.

وفى الجانب الآخر، **أفرز الفكر المادى الحضارة المادية المعاصرة**، التى اختزلت الإنســان فى **ثالوث الإنتاج والاســتهلاك والاســتمتاع**، فكان بديهيًّا أيضًا أن يتوارى الفكر الدينى والإيمان بالإله.

---

(1) Ivan Pavlov: (1849 - 1936)، عالِم الفسـيولوجيا الروسى الأشـهر، مُنح جائزة نوبل فى الفسـيولوجيا والطب عام 1904.

(2) Y.F.Fukuyama: أسـتاذ العلوم السياسـية والاقتصاد السياسى، أمريكى الجنسـية، ولد عام 1952 - أشهر كتبه كتاب «نهاية التاريخ» الذى صدر عام 1992.

وقد انطلق الإلحاد الجديد فى الغرب فى معارضته للدين من **رفض الكثير من المفاهيم المسيحية** التى تتعارض مع المنطق والعلم الحديث، ثم عمم نظرته على الديانات بصفة عامة. وقد اتخذت المعارضة للدين فى البداية شكل «**الإنكار**»، فأطلق الملاحدة على أنفسهم اصطلاح «اللادينيين Atheists»، ثم تطورت المعارضة إلى «**العداء**»، واتخذوا موقفًا «ضد الدين A-titheists». وأخيرًا فاجأنا الملاحدة فى الغرب والشرق بتخفيف العداء للديانات بصفة عامة وللمسيحية بصفة خاصة، وتحويل **عدائهم وكراهيتهم كلها إلى الإسلام**!.

والمُخزى أن يدعى الملاحدة الجدد أنهم يتبنون «**إلحادًا علميًّا**»، فى الوقت الذى ثبت فيه أن «**على رأس أعظم اكتشافات العلم الحديث يأتى اكتشاف أن هناك إلهًا**»! كما علقت مجلة تايم الأمريكية على تحول **سير أنتونى فلو** زعيم ملاحدة القرن العشرين إلى الإيمان بالإله بدافع من البراهين العلمية، وهذا ما سنناقشه فى فصول الكتاب القادمة، ونمهد له بدراسة «طبيعة العلم» فى الفصل القادم.

❐❐❐